على الاقل ، لانها كانت تخشى ان يساعد هذا النظام على تقوية الشعور القومي فيها وانتشار روح التحرر والسعي للاستقلال » (١٢) ٠

★★★

تلك لمحة موجزة عن المركزية واللامركزية ٠ ونود ، قبل الانتقال الى القسم الاخير من البحث ، ان نبدي بعض الملاحظات :

الملاحظة الاولى هي انه اصبح من الصعب على الدولة الحديثة الاكتفاء بتطبيق احد النظامين فقط ٠ انها تاخذ اليوم بالنظامين معا وتمزج بينهما مزجا يلائم ظروفها واوضاعها التاريخية والاجتماعية والسياسية ، فتطبق كلا منهما على قطاع معين ، او تحدد لكل منهما نطاقه الذي يعمل فيه ٠ وقد تاخذ باحد النظامين او بكليهما لفترة معينة من الزمن ولتحقيق هدف معين ، حتى اذا ما تحقق هذا الهدف اعادت النظر في امرهما ٠ فالظروف التاريخية التي تمر بها الدولة ، والاخطار التي تحدق بها ، والمشكلات السياسية والاجتماعية التي تتعرض لها ، والتطورات التي تطرأ عليها ، تحتم عليها ، في كثير من الاحيان ، ومن اجل مجابهة الاخطار او مواكبة التغيرات ، ان تختار هذا النظام او ذاك ، او كليهما ٠

واذا كنا نعتبر كلا من النظامين وسيلة الى غاية ، وليس غاية في حد ذاته ، فمن الطبيعي ان تعمد الدولة ، من وقت الى آخر ، الى تغيير الوسيلة للوصول الى الغاية المنشودة ٠ ولعل التغير الذي اصاب النظام الاداري الفرنسي اكبر مثال على ذلك ٠ فقد خضعت فرنسا ، في العهد الاقطاعي ، لنظام اللامركزية ٠ وعندما قويت الملكية فيها على حساب الاقطاع ، في القرن الخامس عشر ، اعتمدت المركزية المطلقة وحصرت جميع السلطات في يد الملك ٠ وبعد نجاح الثورة ، وخصوصا في عهد نابليون ، ابقت فرنسا على النظام المركزي المطلق بغية تحقيق وحدتها ٠ وحينما استقرت الاوضاع السياسية فيها ، ولم تعد وحدتها موضع شك وخلاف ، انصرفت الى معالجة ادارتها المحلية وراحت تتخلى تدريجيا عن المركزية لصالح اللامركزية ٠

والملاحظة الثانية هي ان بعض المفكرين ينادون باتباع نهج اداري وسط تخضع فيه الدوائر المحلية لهيئات مركزية ولا مركزية معا دون ان يكون لاحداها تفوق على الاخرى في ميدانها الخاص ٠ وبذلك يشترك النظامان في العمل الاداري اشتراكا فعالا يقوم على التعادل والتعاون ، فالسلطات اللامركزية تكون حرة في اتخاذ القرارات وتنفيذها ، ويكون للسلطة المركزية ، مقابل ذلك ، صلاحية الموافقة فقط ٠ ولعل الفقيه الفرنسي Eisenmann (١٣) كان اول الداعين الى النهج الاداري الوسط حيث تتعادل السلطة المركزية مع السلطات